

من عبق المراسلات

الحلقة الأولى

"رسالة من الشيخ أبي يحيى لأحد أمراء الجماعات"

تعليق

أبو عامر الناجي



جمادى الآخرة 1439 هـ

من عبق المراسلات

الحلقة الأولى

"رسالة من الشيخ أبي يحيى لأحد أمراء الجماعات"

تعليق

أبو عامر الناجي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنها سياحة في كلمات كتبها رموز دفعوا حياتهم ثمنا لاستمرار عجلة الجهاد في سبيل الله والتمكين لدين الله والعزة للأمة الإسلامية، كلمات زيَّنها الأدب، وحلاها العلم، ونوّرها الإخلاص، وحفَّها الصدق، ورافقها التواضع، وخالطتها الحكمة، فلا تجد بين طياتها غيبة لمسلم، ولا بين ثناياها نميمة توقع بين المسلمين، أو كُليمة تسعى لشق صفوفهم، ولا بين أسطرها احتقارًا لمخالف، ولا ازدراءً لمعارض، بل تجد الشفقة على المسلمين، والحرص على صلاحهم، والاستعداد للتضحية في سبيل الله ورفعة الأمة، ودفع تكاليف الهجرة والجهاد وتحمل الأذى والضيق، والأخوة الصادقة، والنصح والتواصي بالحق بكل لطف ولين.

إنها كلمات كتبها أناس تبحث عنهم قوى الكفر ليل نهار، صباح مساء، فلا تفتر طائراتهم من التحليق فوق رؤوسهم أملا في إيجاد خيط يوصل لقتلهم، بل منهم من نجى مرة ومرتين وثلاث من قصوفات استهدفته، ومنهم من ضحى بعائلته في هذا الطريق، ومنهم من فقد ابنا وابنين وثلاثة، أما فقدُ الأحبة والخلان فحدث ولا حرج، فلم تعقهم هذه الظروف الأمنية الصعبة، ولا التحديات التي شاركتهم فيها عوائلهم، بل كانوا يجدون كل ذلك رخيصا في سبيل العبادة التي يقول الله عنها: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ).

رسائل في رسالة

وبين يدي الآن رسالة حوت رسائلا نافعة، خطها الشيخ أبو يحيى الليبي –رحمه الله– لأحد أمراء الجماعات الجهادية ناصحا وشافعا، وهي رسالة لا تخص ذلك الأمير وحسب، بل إنها قد تحدثت عن نموذج لحالة قد تكررت وستتكرر في مسيرة الجماعات الجهادية، فنسأل الله تعالى أن يطرح فيها النفع والبركة.

الدين النصيحة:

ترسل النصيحة لغرض صلاح من أرسلت له وهدايته، يقول الإمام الخطابي: (النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير للمنصوح له) فهذه غايتها، أما مبعثها فهي الشفقة والرحمة، وأما وسيلتها فلا تكون إلا مغلفة بالأدب الجم والعبارات الطيبة التي تعكس شفقة المرسل وإرادته للصلاح.

وكم من رسالة اليوم تسمى "نصيحة" و" الفضيحة" هي أقرب تسمية لها، قال ابن رجب: (ومِن أظهرِ التعيير: إظهارُ السوءِ وإشاعتُه في قالب النصح وزعمُ أنه إنما يحمله على ذلك العيوب إما عاماً أو خاصًا، وكان في الباطن إنما غرضه التعيير والأذى فهو من إخوان المنافقين الذين ذمهم الله في كتابه في مواضع، فإن الله تعالى ذم من أظهر فعلاً أو قولاً حسناً وأراد به التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن، وعدَّ ذلك من خصال النفاق كما في سورة براءة التي هتك فيها المنافقين وفضحهم بأوصافهم الخبيثة: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (التوبة:107). اهـ

فلذلك أخي المجاهد عليك بإصلاح نيتك قبل إسداء النصيحة، كما يتوجب عليك اتباع الإرشادات الإلهية والسنن النبوية والأخلاق السلفية في نصيحتك لمن خالفك في مسألة أو عمل، فمهما بلغت الخصومة مع مخالفك فلن يكون حاله أسوء من حال فرعون الذي نازع الله في الربوبية والألوهية وطغى وتجبر في الأرض، ومع ذلك فقد أمر الله تعالى نبييه موسى وهارون –عليهما السلام– بأن يقولا له القول اللين عند نصيحته، وتذكر –أخي الناصح– دائما قول الفضيل بن عياض –رحمه الله: (المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعير)، واجعلها معيارا لكتاباتك.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أبعث إليك رسالتي هذه راجيا من المولى عز وجل أن تصلك وأنت في خير حالٍ في دينك الذي هو عصمة أمرك، ودنياك التي فيها معاشك، في ازدياد من الطاعة والقربات، وابتعادٍ عن المعاصي والموبقات، يراك الله حيث يحب، ولا يراك حيث يسخط، سائلا المولى عز وجل أن يشرح صدورنا للحق ويذلل قلوبنا لاتباعه، ويجنبنا وإياكم مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن ويعيذنا من عبادته باتِّباعِ الظنِّ وما تهوى الأنفس، إذ لا شي أهلك للمرء من الانقياد لهواه والاستسلام لدواعي النفس والانعزال عن وازع العلم الصحيح والورع الصادق، كما قال تعالى: { وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ} [الأنعام: 119]، ونعوذ بالله من سلوك سبيل مَن قال الله فيهم: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [القصص: 50].

أخي المكرّم / أبعث إليك هذه الرسالة –وهي رسالتي الأولى إليكم– راجياً أن تقع منكم الموقع الحسن، وأن تجد منكم كل قبولٍ وإصغاء، فلن أكون بإذن الله تعالى غاشاً لكم ولا لأحدٍ من المسلمين ولا المجاهدين، وإنما هي زكاةُ علمٍ نؤديها لست فيها إلا ناصحاً مذكِّراً لا أريد من وراء ذلك جزاء ولا شكوراً، فهي رسالةٌ أخصكم بها لا يدفعني إلى كتابتها إلا طلب إحقاق الحقِّ الذي نزعم جميعاً أننا نسعى لإقامته ونشره والقتال دونه.

إذن فهي نصيحة كذلك لأهل العلم بأن يؤدوا زكاة علمهم بإبداء النصح للأمراء، وعدم السكوت على المنكرات والمخالفات، فلا يمنعه من النصيحة أن يكون المنصوح أميرا له في نفس الجماعة، كما لا يمنعه أن يكون هو مستقلا لا ينتمي لجماعة المنصوح، فإن الدين النصيحة، وهكذا رأينا دأب علماء الجهاد، فبين يدي بالإضافة إلى هذه الرسالة العديد من الرسائل التي كتبت بغرض النصيحة والإنكار على عدد من قيادات الجهاد في شتى البقاع.

ولتعلم – أخي المكرم – أننا لسنا من أهل العصبية المقيتة، ولا القوميات المنتنة، ولا التحزبات الضيقة الذين يوالون لأجل جماعتهم ويعادون عليها، فإننا نعلم أن هذه الجماعات إما أن تكون عوناً للمرء على طاعة الله، وإما أن تكون وبالاً عليه تبعده عن الحق وتعميه عن الهدى وتغرقه في العمى وتجعله (على غير شيءٍ)، كما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام: 159]، أقول هذا حتى لا ينفث الشيطان في روعكم أنني أكتب كلماتي هذه بناءً على دافعٍ حزبي أو انطلاقاً من انتماءٍ إلى جماعةٍ أو تنظيمٍ أو حركةٍ أنتصر لها وأتعصبُ لمنهجها بل إننا ننشد الحقَّ حيثما كان ولا نبالي من أين أتانا ولا من أرشدنا إليه سواء كان من جماعتنا أم من غيرها، وسواء كان مجاهداً أم قاعداً، وسواء كان موافقاً أم مخالفاً، ما دام ما ينطق به هو الحقَّ الحقيقَ بالاتباع، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها.

رسالة للأمراء:

يرسل الشيخ للأمراء رسالتين، الأولى: يقول لهم: أبعدوا عنكم الغششة مهما وافقوكم ورضوا عنكم، فإنهم بطانة السوء الذين يفسدون ولا يصلحون، فهم الذين يزينون للأمير قبائح الأمور ليقترفها، ويصغرون في عينه كبائر الأمور فيفعلها، فيا أيها الأمير انظر إلى من حولك من جلسائك، هل هم كحامل المسك أم كنافخ الكير؟ هل يزينون لك الغيبة ويملؤون سمعك بالنميمة؟ أو إنهم ممن كرهوا أن يأكلوا لحوم إخوانهم نيئة!؟ هل هم ممن ترطبت ألسنتهم بذكر الله أم أنها قد تقيحت بالطعن في أعراض الناس وكشف أسرارهم، هل هم ممن يصفقون لك مع كل خطوة تخطوها أم أنهم ممن يأخذون على أيديك عند الخطأ في محارم الله؟ هل هم ممن يستر على المسلمين عيوبهم ويعتذر لهم أم ممن يتتبع عوراتهم ولا يلتمس لهم عذرا؟

أيها الأمير ماذا ترتجي من بطانة تسهل لك سفك دماء المسلمين وتحرضك على ذلك؟ وما فائدة تلك البطانة التي تعينك على التجسس على المسلمين وكشف أستارهم؟ فليس المعيار في الموافقة والتأييد بل بالصلاح فاتخذ بطانتك على حسب صلاح دينهم تفلح.

ولتعلم – أخي المكرم– أن أخاك حقاً هو الذي يَصدُقُكَ لا الذي يُصدِّقك، والذي يُذكِّرك لا الذي يَذكُرك، والذي يَنصحُكَ لا الذي يَمدَحُكَ، فإنَّ قوماً رضوا بأن يكون حظُّهم من أعمالهم طلبَ مدح الناس وثنائهم وإشباع رغبات نفوسهم في ذلك –كانوا أوَّل من تُسعَّر بهم النار يوم القيامة، فخابوا وخسِروا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ

فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ،

وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ)) رواه مسلم، فهؤلاء ثلاثة كانوا باذلين لأَنْفَسِ شيءٍ، أحدهم لنفسه، والآخر لعلمه، وثالثهم لمالِه، وكل ذلك لم يغنِ عنهم من الله شيئاً، وما أهلكهم إلا (ليُقالَ)، فكان جزاؤهم يوم القيامة –مع حرِّ النار– (فقد قيل)، فجُمِع لهم بين عذاب النار لأجسادهم، وهوان التوبيخ لنفوسهم، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم.

أما الرسالة الثانية: فرسالة يوضح فيها الشيخ للأمراء مقصود الإمارة في الإسلام، وقد خطها في عدة مواضع من الرسالة.

بدأها في توضيح أن هذه الإمارة إنما هي مغرم وليست بمغنم، وأن الصالحين كانوا يسألون الله منها السلامة والعافية، قال عليه الصلاة والسلام: (إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هي، أولها ملامة، وثانيها ندامة، وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل)

فإنَّك اليوم في موطنٍ خطرٍ عظيمٍ، ومحلٍّ تَهيَّبه أكابر الأئمة وأجلة العلماء ألا وهو الإمارة، والتي يعُدُّها البعض مغنماً وهي –والله– شرُّ مغرمٍ إلا لمن قام بحَقِّها وأدى واجبها وقليلٌ ما هم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنكم ستحرصون على الإمارة، وستكون ندامة يوم القيامة، فنعم المرضعة وبئست الفاطمة)) رواه البخاري.

ثم بيّن أنها أمانة، وتأدية هذه الأمانة يكون بأخذها بحقها كما أوجب الله تعالى، وأن من أبواب خيانة هذه الأمانة هو باستغلال صلاحيات الإمارة للتكبر في الأرض وظلم الخلق وقهرهم والعلو عليهم.

إذاً فهي أمانةٌ تماماً كما وصفها النبي صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: 27]، ولا خيانةَ

أعظم من اتخاذ هذا المنصب –الذي اؤتمن عليه العبد – مطيةً لتحقيق الرغبات وتحصيل الأهواء فتسفك لأجل ذلك الدماء المحرمة، ويُقهر الناس ظلماً وعدواناً بالضرب والسجن والنفي والهجران والمطاردات والملاحقات والتضييق، وتستحل أعراض المسلمين بالغيبة والنميمة والطعن والتُهَم، وتُملأُ البطون بلحومهم في المجالس تفكُّها وتندراً إرضاءً للأمراءِ أو مجاملةً للجماعةِ.

ثم بيّن عاقبة من لم يأخذ هذه الإمارة بحقها، وإنما استعملها لحق نفسه وأتباعه وحظوظهم، فقال الشيخ:

ومَن ضيَّعها أو جعلها حظاً لنفسه، فإنها ستكون عليه يوم القيام خزياً وندامةً، ولن ينفعه يومئذٍ –وهو واقفٌ بين يدي ربه وحيداً– تعظيمُ الناس، ولا مدحهم، ولا توقيرهم، ولا ثناؤهم، ولن ينجيه أنْ كان ينادى في الدنيا (أمير صاحب)، أو (أمير محترم) , أو (البطل المقدام) أو (القوي الحازم)، ولن يجد في ذلك الموطِن من يُظلِّل عليه، أو يفتح له بابَ سيارته، أو يُمهِّد له الفراش، أو يقدِّمه في كلِّ شيءٍ بل : {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ } [المدثر: 38]، {بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة: 14]، ورُبَّ مُمَلَّكٍ في الدنيا معظَّمٍ بين أصحابه وأتباعه قد بسط سلطانه، وكثَّر أعوانَه، وملأ خزائنه ينادي في ذلك اليوم العصيب: {مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ } [الحاقة: 28، 29]، ولن ينفع المرءَ يومئذٍ جماعةٌ، ولا حركةٌ، ولا تنظيمٌ.

إذاً فلتعلم – أخي المكرم– أن الشقاء كل الشقاء هو أن يعمر المرء دنياه بخراب آخرته، وأشقى منه من يعمِّر دنيا غيره بتخريب أخراه، كما قال قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ: سَمِعْتُ خَالِي مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، يَقُولُ: قَالَ لِي رَبِيعَةُ الرَّأْيِ، قَالَ: وَكَانَ أُسْتَاذَ مَالِكٍ: يَا مَالِكُ، منَ السَّفَلَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَنْ أَكَلَ بِدِينِهِ، قَالَ: فَقَالَ لِي: مَنْ سَفَلَة السَّفَلَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: مَنْ أَصْلَحَ دُنْيَا غَيْرِهِ بِفَسَادِ دِينِهِ.

حرمة الأعراض:

والذي حرَّم الدماء والأموال قد حرّم الأعراض أيضاً كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم جمعٍ وأجل مشهدٍ : ((إن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، بينكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ليبلغ الشاهد الغائب)) متفق عليه، فهذا كله فوق أنه انتهاكٌ لحرمات المسلمينَ وتعرّضٌ لسخط العزيز العليم، فإنه أيضاً من أعظم غش الأمير لأتباعه، حيث أطلق ألسنتهم وأيديهم وسياطهم على عباد الله ولم يكفَّهم أو يزجرهم بل هو إما ساكتٌ راضٍ بما يفعلون أو آمرٌ مؤيدٌ لما يقترفون فيحمل بذلك أوزاره وأوزارهم فيكون فيه شبهٌ ممن قال الله فيهم: {اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } [العنكبوت: 12]، وعن معقل بن يسارٍ –رضي الله عنه– قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)) رواه البخاري ومسلم، وعند مسلمٍ : ((مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ)).

فاعمل لنجاةِ نفسك، واسلك طريق السلامة، ولا تكن جسراً يعبر عليه أتباعك إلى النار، وصُنْ دينكَ بالتجرد للحق، ولا تُسخط ربكَ بإرضاء الخلق لا سيما الهَمَل الرعاع الذين لا يعرفون من دين الله شيئاً، وإنما هي خيالاتٌ وظنونٌ وأهواء وإعجابٌ بالآراء يحسبونها شيئاً حتى إذا جاءوها لم يجدوها شيئاً ووجدوا الله عندها فوفاهم حسابهم، فإنَّ شرَّ الناس من رضي بصحبة الناس على معصية الله، وتوادَّ معهم على ذلكَ فأرضاهم وأرضوه وأفرحهم وأفرحوه وهم مُسخِطون لربهم ممقوتون من خالقهم، وما حال هؤلاء إلا كحال قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذين قال لهم : {وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ } [العنكبوت: 25]، ولئن سَعِدوا في الدنيا ببعضهم واستأنسوا باجتماعهم وركنوا إلى تآلفهم –وهو على معصية الله– فسيقال لهم يوم القيامة : {وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي

الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} [الزخرف: 39]، فاحذر – أخي المكرم– أن تجمع من حولك على مساخط الله، وترضى منهم بالطاعة لك على حسابِ معصيتهم لربهم، وتفرحهم وتغضب ربك بهم.

سفك الدماء المحرمة:

مما يكرره علماء المجاهدين على غيرهم من الأمراء أو على جنودهم وعامة المسلمين هو التحذير من خطورة سفك الدماء المحرمة، فإنها ورطة لا مخرج لها كما أخبر الصادق المصدوق، وقد سمعت من العديد من قيادات الجهاد قولهم إن المعيار عندنا في صلاح الأمير أو فساده هو دخوله في الدماء المحرمة، فمن تجرأ على دماء المسلمين ولم ينتصح لم يصر أمينا على دماء الجنود ولا على مصلحة المسلمين، قال المهلب: حرص الناس على الإمارة ظاهر العيان، وهو الذي جعل الناس يسفكون عليها دماءهم، ويستبيحون حريمهم، ويفسدون فى الأرض حين يصلون بالإمارة إلى لذاتهم، ثم لابد أن يكون فطامهم إلى السوء وبئس الحال؛ لأنه لا يخلو أن يقتل عليها أو يعزل عنها وتلحقه الذلة أو يموت عليها فيطالب فى الآخرة فيندم. اهـ

يقول الشيخ أبو يحيى في رسالته:

وإنني لن أتحدث هنا عن قضايا معينةٍ وحوادث اقترفتها جماعتكم، فرُبَّ أمورٍ صار أصحابها اليوم بين يدي رب العالمين سواء فيها القاتل أو المقتول، وعنده –سبحانه– تجتمع الخصوم، ولكنَّ الأمر الذي لا شكَّ فيه أن جماعتكم لديها إسرافٌ في الدماء، وتهاونٌ في سفكها، وتجرؤٌ عليها، فلئن وقع ذلك أثناء إمارة .... رحمه الله وقد أفضى إلى ما قدَّم، فإنَّك اليوم في موطنٍ خطرٍ عظيمٍ.

ولا شقاءَ أعظم وأطم من إسخاط العبد لربّه بانتهاك محارمه، وتجاوز حدوده، كما قال عز وجل : {وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: 229]، ولا حرمةَ في هذه الدنيا بعد توحيد الله تعالى – على الإطلاق– أجل وأغلظ وأوثق من دم المسلم الذي نزل في حق سافكه عمداً بغير حقٍ من الوعيد ما لم ينزل في غيره كما قال عز وجل: {وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: 93]، حتى اختلف العلماء هل لقاتل المؤمن عمداً توبةٌ أم لا؟!، هذا الدم الحرام الذي أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أن زوال (الدنيا) بأسرها أهون عند الله من سفك دمٍ مسلمٍ بغير

حقٍّ، أفرأيت! (لزوال الدنيا) بما فيها، وليس فقط زوال جماعةٍ من الجماعات، ولا تنظيم من التنظيمات، ولا إمارة من الإمارات، مهما انتشر صيتها وذاع اسمها وكثرت أعدادها وظهرت أعمالها وتزيّنَ إعلامها، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ)) رواه الترمذي، فتأمل هذا الحديث العظيم الذي تقشعر منه جلود أهل الإيمان، فلو تواطأ أهل السماء من الملائكة وأهل الأرض جميعاً على سفك دم مسلمٍ واحدٍ –قد يكون ضعيفاً فقيراً جاهلاً يُؤبَه بهِ – لأكبهم الله في النار، فلن يشفع لسافكي دماء المسلمين بغير حقٍّ، أو بالظنون والأوهام، أو بالجهالات والأهواء– لن يشفع لهم أن يكونوا مجاهدين مرابطين مهاجرين، ولن ينفعهم جهادهم حينئذٍ يوم يقفون بين يدي الله تعالى ويسألهم لِمَ قتلتم فلاناً المسلم؟ وليُعِدَّ كلُّ من تورط في هذه البلية لنفسه جواباً، فإن لم يجد فهو لم يزل في دار الدنيا فليبادر إلى التوبة ولا يخادع نفسه بالأماني ولا يتكل على الظنون التي لن تنفعه عند علاّم الغيوب، {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 88، 89]

فوالله ثم والله، لو أن المرء عاش تاركاً للجهادِ بعيداً عن ساحاته، مشتغلاً بخاصةِ نفسه، مغموراً بين الناس لا يعبأ به، لكان ذلك خيراً له من أن يكون تحت مظلة (المجاهدين) ثم يوقِع نفسه في هذه الورطة وهي سفك الدماء المحرمة، كما قال عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– : ((إن من ورطات الأمور، التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الدم الحرام بغير حله)) رواه البخاري.

شفاعة في مهاجرين:

اشتهرت إحدى الجماعات المجاهدة في وزيرستان باعتقال كل من يخرج من الجماعة وسجنه، فكان هذا محل استنكار من مشايخ الجهاد، فليس الانتماء للجماعة هو معيار الولاء والبراء والصلاح والفساد، فرب مبايع داخل الجماعة ضرره أشد وأكبر ممن هو خارجها من الصالحين، ولا شك أن سجن من يخرج من الجماعة والتضييق عليه وإسقاطه هو فعل الظالمين المتجبرين، مهما تلقبوا بالألقاب الإسلامية.

وقد كان من أشد الباعث لي على هذه الرسالة –والتي سأتبعها برسائل نصح أخرى إن شاء الله– هو ما بلغني من اعتقال عدد من الإخوة الطاجيك الذين هم في جماعتكم بعدما قضى بعضهم أعمارهم داخل الجماعةِ وربما كان أقدمَ حتى ممن اعتقلوه، وأنا لن أخوض في تفاصيل أسباب ودواعي مسكهم وسجنهم، فإن الكلام لا نهاية له لا سيما في هذه الساحات التي هي محل القيل والقال، إذ ليست الحجة هي التي تقنعون بها الآخرين، وإنما الحجة النافعة هي التي تلاقون بها ربكم عالم الغيب والشهادة الذي حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً، فأعدوا لذلك اليوم جواباً لا يغني فيه الفصاحة، ولا البلاغة، ولا يُحتَاجُ إلى "مؤسسات إعلامية"، ولا أوراق تطبع وتوزّع في الأسواق، ولا "جهاز مخابرات" ولا غير ذلك، بل لا ينجي إلا الصدق والصدق وحده، وما الصدق إلا ما يعلمه الله من عبده مما يطابق حاله ظاهراً وباطناً: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ } [المائدة: 119].

فيا أيها الأخ المكرَّم / إني لأرجو منكم رجاءً خاصاً –ونحن في هذه الظروف الحرجة الضيقة– وأتقدم إليكم شافعاً في أناسٍ –والله – لا أعرفهم ولا يجمعني بهم إلا رابطة أخوة الإيمان، طالباً منكم أن تفرجوا عنهم وعن سائر من عندكم من المجاهدين وتوسِّعوا لهم صدوركم وتليّنوا معهم جانبكم وتطيِّبوا نفوسهم وتُحسِنوا إكرامهم، وأن تعفو عنهم –حتى وإن كانوا مخطئين– فإن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة، فما أجمل العفو بعد المقدرة، وما أقبح التسلط على الضعفاء.

ولتعلم –أخي المكرم– أن هؤلاء لم يهاجروا من ديارهم ويُنقذوا أنفسهم من ظلم الطغاةِ وسجونهم وتجبرهم ليكونوا تحت ظلم إخوانهم وكبتهم وتعذيبهم، وكما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً))، وأنتم قد جرَّبتم السجون والاعتقالات والمطاردات داخل جماعتكم ومن أمدٍ بعيدٍ، فهل رأيتموها تمنع من أراد الخروج عن الحركة أو تردع من عزم على الفرار منكم إلى أي جهةٍ يريد، وهل ذلك إلا تحميل لأنفسكم ذنوباً أنتم أغنى ما تكونون عنها، وما عليكم أن يجاهد هؤلاء في هذا الموطن أو ذاك بل ما يضركم أن يتركوا الجهاد كليةً ويشتغلوا بدنياهم وقد قال الله تعالى : {وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت: 6].

يا أيها القارئ المكرم / ما ضرَّك لو صفحتَ عن هؤلاء وتجاوزت، فهل يزيدك ذلك إلا كرماً ونبلاً وشهامةً، وأيُّ معرّةٍ ستلحقك أو تلحق جماعتك لو مننتَ وأخليتَ وسرَّحت؟! وهل ترى ذلك سيحول بينكم وبين جهادكم؟!

وقد قال الله تعالى : {مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا } [النساء: 85]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((اشفعوا تؤجروا، ويقضي الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ما شاء)) متفق عليه.

وها أنا ذا أتقدم إليكم بالشفاعة في حق هؤلاء المجاهدين المرابطين المهاجرين أن تطلقوا سراحهم وتخلوا سبيلهم، وتُكرموهم وتُعزوهم وتوقِّروهم، فمهما فعلوا –ولا أعرف ما فعلوا – فلن يكونوا شراً من كفَّار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وحاولوا قتله مرات ومرات، وأخرجوه من داره وأهله وأحب البقاع إليه، وقاتلوه وقتلوا خيار أصحابه، ثم لما مكَّنه الله منهم وصارت رقابهم في يده وتحت تصرُّفه، قال لهم بكل يسرٍ وخُلُقٍ وشهامةٍ : ((اذهبوا فأنتم الطلقاء)).

فهذا هو خلق نبيكم صلى الله عليه وسلم الذي تهتدون بهديه حتى مع الكفَّار فما بالكم في مسلمين مهاجرين مجاهدين، ولتحذورا أن تُخربوا عليهم دنياهم فيخربوا عليكم آخرتكم، فوالله ما خرج أحدٌ مهاجراً إلى الله لينقذَ نفسه من ذل العبودية للطغاة المتجبرين الظالمين ويقع في

هوان العبودية للأمراء حتى ولو كانوا مجاهدين، بل ينبغي أن يكون المجاهد أعز الناس، وأكرم الناس، وأفضل الناس، وهذا ما نرجوه منكم في حق هؤلاء الإخوة.

بين أميرين:

يستمر الشيخ في توجيه النصح للأمير، ويبين له أن حاله بين أميرين، إما أمير تجتمع عليه القلوب فيستقيم أمر الجماعة وينتفع المسلمون به، وإما أمير ينفر الأتباع منه فيفسد حينها نظام الجماعة وإن كان ظاهره الصلاح والقوة، فسرعان ما سيأتي عليه يوم السقوط المدوي.

فوالله لن يجمع قلوبَ الأتباع على أميرهم مثلُ رفقه بهم، وعدله بينهم، وإعطائهم حقوقهم، ولينه معهم، والاستماع إلى شكاويهم، وعدم تكليفهم ما هو فوق طاقتهم، وتمام النصح لهم، وعدم غشهم والكذب عليهم، كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: 159].

أما الشعور بالكبت، والعيش تحت مظلة الخوف والمتابعة، وعدم ثقة الأفراد فيما بينهم لأن كلاً يخشى من أخيه أن يكون جاسوساً عليه تابعاً (لجهاز الاستخبارات)، فإن هذا لن يؤدي إلا إلى مزيد من التشرذم والتفرق، فإن القلوب إذا تنافرت والثقة إذا انعدمت والشكوك إذا انتشرت فلن ينفع عندها اجتماع أصحاب الأجساد ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، بل ذلك مذمةٌ وأي مذمة كما قال تعالى في حق اليهود : {بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ } [الحشر: 14]، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ)) رواه أحمد، وأبو داود تحت : بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ التَّجَسُّسِ، وروى أيضاً عَنْ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ النَّاسِ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ))، وليراجع ما ذكره شراح الحديث فإن في هذه فوائد عظيمة لا يستغني عنها من ابتلي بشيء من الإمارة.

خاتمة:

كتبتُ ما كتبتُ لك مذكِّراً ومخوِّفاً إياكَ من الوقوف بين يدي الله العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية، يوم تبلى السرائر، وتُخرج الأرض أثقالها، وتنفضح الخلائق، ويحصَّل ما في الصدور، وتجمع الأعمال {يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المجادلة: 6].

وقد اجتهدت بما عندي في هذا الأمر، وبإذن الله تعالى لن أدخر جهداً في نصحكم بما أراه حقاً، فإن قبلتموه فذاك هو المؤمَّل والمرجو، وإن رددتموه فقد أعذرتُ نفسي فأقول كما قال الأولون : {مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأعراف: 164].

فإننا لن نجعل هذه الجماعات والتنظيمات حائلاً بيننا وبين إبلاغ ما نعتقده حقاً ونراه ديناً ناصحين لكل أحدٍ، كما أننا لن نستنكف أو نتردد في الاستماع لنصح أي أحدٍ، ولن نضيق ما وسَّعه الشرع علينا، ولن نقلب الوسائل مقاصد، فما هذه الجماعات إلا وسيلة لإقامة الدين، وليست مقصودةً لذاتها، ومن عكس الأمر –بقوله أو فعله وتصرفاته– انتكس وارتكس، ووقع في طوام لا يعلمها إلا الله كما هو مشاهدٌ معلومٌ وإلى الله المشتكى وهو يتولى الصالحين.

كتبه ناصحا وشافعاً / أبو يحيى الليبي.

الأربعاء، 13/ربيع الأول/1432هـ، 16/شباط/2011